الفصل السادس عشر

الجرائم الجنسية

يجدر بنـــا قبل أن نتكلم عن الجرائم الجنسية أن نستعرض مراحل النمو الجنسى والانحرافات الجنسية لنفرق بينها وبين الجرائم الجنسية .

مراحل النمو الجنسى :

يرجع الفضل إلى فرويد فى بيـان أهميـة مظـاهر الدافع الجنسى فى الطفولة ، وبيان مراحل نمو هذا الدافع ، ويجدر بنا أن نشير إلى أن التقسـيم إلى مراحـل لايعنى انفصال هذه المراحل وانفصال بعضها عن بعض ، إذ تتميز كل مرحلة بوجود مظاهر المراحل الأخرى فيها إلى جانب بروز المظاهر بهذه المرحلة . كما أن الانتقال من مرحلة إلى أخرى تدريجى ، إذ لايمكننا أن نقف عند يوم معين بالذات ونقول : هنا انتهت مرحلة وبدأت مرحلة أخرى . كما أن من أهم خصائص النمو التمايز والتكامل . ويقصد بالتمايز البروز من الكل الذى يتضمن عناصر المظاهر الأخرى . ويقصد بالتكامل ، الوحدة والاتساق والاكتمال . فقـد ذكرنا فى الانفعـالات مثلا أن الطفل يولد مزوداً باستعداد عام للتهيج والاضطراب ، وتتميز الانفعالات المختلفة كالخوف والغضب وما إلى ذلك من هذا الاستعداد العام الذى يمثل الكل ، كما تتكامل الانفعالات وتصبح لها طابعها الخاص .

وقد قسم فرويد وتلاميذه مراحل النمو الجنسى إلى المراحل الآتية :

١ - المرحله الفمية الأولى .

٢ - المرحله الفمية الثـــانية .

٣ ـ المرحلة الشرجية السادية .

٤ ـ المرحلة القضيبية .

٥ ـ مرحلة الكمون .

٦ مرحلة المراهقة والنضج الجنسى .

يرمز فرويد والمحللون النفسيون من مدرسته إلى هذه المراحل تبعا لمنطقة الجسم التى تسود غيرها كمصدر لاجتلاب اللذة . وأهم هذه المناطق كما يتبين من التقسيم هى الفم ، والشرج ، والأعضاء التناسلية . إلا أنه يجب أن نؤكد أنهم حين يتكلمون عن اللذة الجنسية فى الطفولة لا يقصدون الشهوة الجنسية كما يعرفها البالغ الناضج ، وانما يقصدون نوعا من الحساسية واللذة الذاتية العامة التى تقابل اللذة الجنسية عند البالغ . ولكل من هذه المناطق الجنسية وسائلها الخاصة فى استثارتها وفى طريقة اشباعها .

١ ـ المرحلة الفمية المبكرة :

ومركز اللذة فى هذه المرحلة هو الفم . فالفم هو سبيل الطفل لاشباع حاجاته واتصاله بالعالم الخارجى ، وتشبه حالة الطفل بعد الرضاعة والشبع منها والاسترخاء الذى يليها ، حالة الاسترخاء التى تلى الانتهاء من العملية الجنسية عند البالغ ، ويشعر الطفل ـ فى خبراته الفمية ـ بالاتحاد مع ما يبتلعه عن طريق الفم .

ومما يلاحظ أن كثيرا من مظاهرها يستمر حتى النضج والبلوغ . فالغ له واللعق والتدخين وشرب الخمر وتعاطى المخدرات والنهم كلها مظاهر فيها لذة عن طريق الفم ، وفيها استمرار لمظاهر المرحلة الفمية ويمكننا أن نلخص مصادر اللذة فى هذه المرحلة فى عملية الابتلاع والشعور بلذة الاتحاد مع ما يبتلعه الفرد .

٢ ـ المرحلة الفمية الثانية :

وتظهر هذه المرحلة حوالى نهاية العام الأول من ميلاد الطفل حين يبدأ ظهور الأسنان ، وتبدأ معها اللذة فى العض والقضم وقيام الطفل بدور ايجابى غير سلبى ، فبعد أن كان نشاطه قاصراً على عمليات المص والادخال والبلع ، أصبح يجد لذة إضافية فى قضم الأشياء والتعلق بأسنانه بثدى الأم وجذبه . ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن نمو الأسنان وما يصاحبه من القدرة على القيام بدور إيجابى ، تصاحبه أيضا إيجابية فى الحواس الأخرى ، ففى حاسة البصر مثلا ـ بعد أن كان الطفل فى المرحلة الأولى ينظر ويستقبل الإحساسات البصرية ـ يصبح الآن قادرا على أن يحدد بصره ، ويدير عينيه متتبعا الأجسام المتحركة ، كما أن حاسة السمع أصبحت تميز الأصوات وتحدد مكانها وتتبعها بعد أن كانت وظيفتها سلبية قاصرة على الاستقبال ، وأصبح فى مقدور الطفل أن يمد ذراعه وأن يقبض بيده على أشياء يريدها عن قصد .

ومن عادات السلوك الاجتماعى التى يغرس بذورها فى هذه المرحلة ، الرغبة فى الأخذ ، والرغبة فى الحصول على الأشياء التى قد تحول بينها وبين الفرد بعض العقبات .

فاذا ما مرت بالطفل فى هذه المرحلة والمرحلة السابقة خبرات غير سارة كالحرمان من العطف والحنان ـ مما قد يؤثر فى عدم انتظام عملية الرضاع والشعور بالطمأنينة الذى يصاحبها ـ فانه قد تثبت مع الطفل أنماط من السلوك تتميز بها هذه المرحلة ، ويصعب عليه الانتقال إلى المرحلة التى تليها . وتبدأ أعراض ذلك فى المشاكل التى تبدو على بعض الأطفال فى عملية الرضاع . ويرى « فرويد » أن انحرافات هذه المرحلة قد تتخذ أحد اتجاهين . الأول انحراف يختص بمنطقة اللذة،

والثانى انحراف يختص بأنماط السلوك الخاصة بمرحلة هذه المنطقة . ومن أمثلة انحرافات منطقة اللذة استمرار الطفل حتى البلوغ فى اجتلاب اللذة عن طريق الفم. وقد ذكرنا أمثلة لهـــذه الانحرافات كالنهم والتدخين وتعاطى المخدرات . أما الانحرافات فى أنماط السلوك فتتلخص فى الثبات على نمط وهو الأخذ لا الإعطاء مهما كانت سبل هذا الأخذ أو مناطقه الجسمانية .

ويرى المحللون أن الصعاب التى قد تعترض النمو فى هذه المرحلة قد تؤدى إلى مشاكل يصعب علاجها بعد ذلك ، فقد يُحدث ألا يفطم الطفل ـ كما هى العادة ـ قبل أن تظهر أسنانه ، ولا تحتمل الأم عض الطفل لثديها ، فتثور ، وتجذب ثديها منه ، مما يؤدى إلى استثارة غضبه وشعوره بالحرمان من العطف واللذة ، وهو عاجز عن التنفيس عن غضبه بعمل إيجابى سوى البكاء ، فتوضع فى نفسه بذور حب القسوة على الغـــير ، وحب الألم من الغير ، والصراع بينهما وتحطيم رابطة الاتحاد السعيد مع الأم فتوضع بذور القلق . ويرى « اريكسون » أن بذور الشعور بالثقة فى النفس وفى الغير وما يصاحب ذلك من إحساس بوجود الخير أو فقدان الثقة فى النفس وفى الغير ، وما يصاحب ذلك من إحساس بوجود مايسمى بالشر توضع فى هذه المرحلة .

٣ ـ المرحلة الشرجية :

ومنطقة اللذة فى هذه المرحلة هى فتحة الاست والمستقيم . ولا شك أن اللذة الشرجية كانت موجودة فى المرحلتين السابقتين ، إلا أنه يبدو أنه فى السنة الثانية من العمر تحتل هذه المنطقة مكانا خاصا متميزا فى مراحل اللذة الجنسية عند الطفل وتكون هذ اللذة هنا مصاحبة لعملية الاخراج « التبرز » ، وتكون قاصرة على مجرد الإخراج فى أوائل هذه المرحلة من النمو ، وفى أواخرها يؤدى نضج عضلات

هذا الجزء من الجسم إلى عمليتين يشعر معها الطفل بالقدرة على السيطرة ، هما : الإخراج والقبض ، وهما تؤديان إلى بدء شعور الطفل بذاته .

ولما كانت بعض الثقافات - مثل ثقافتنا والثقافة الغربية - تعطى أهمية خاصة لهذه العملية ، ويتحتم تدريب الطفل على التحكم فيها فى سن مبكرة ، فان الطفل يستغل أنماط السلوك المصاحبة لهذه العملية للتعامل مع الغير ، فالتبرز فى أى مكان فى المنزل لا يرضى عنه الوالدان ، قد يكون وسيلة يلجأ إليها الطفل لمعاقبتها والسيطرة عليها ، كما قد يكون الامساك وسيلة ترمى إلى هذا الهدف .

والتخلص من البراز عملية يضطر اليها الطفل ، ويشعر بأنه يفقد جزءاً منه أو جزءاً من ذاته ، فيصحب عملية إخراجه شعور بفقدان شىء عزيز ، وقد يجمد هذا النمط من السلوك فى الفرد فيعز عليه العطاء ، ويلذ له الأخذ ، فيتحول إلى شخص أنانى فى معاملاته مع الآخرين ، وقد يصبح بخيلا ينحصر همه كله فى الاستحواذ على المال .

وإذا ما كان تمرين الطفل على تنظيم عملية التبرز مشوبا بالقسوة والعنف ، فقد ينكص إلى المرحلة الفمية السابقة ، فيمص أصابعه ، ويقضم أظافره ، أو تكثر مطالبه ورغباته ، أو قد يتحول إلى معتد فيستغل البراز كذخيرة يعتدى بها على الوالدين وإرادتها ليثبت ذاتيته .

وقد تحدث اضطرابات بمنطقة اللذة نفسها أو فى أنماط السلوك المصاحبة مثل اضطرابات القولون ، أو تقلص أو ارتخاء عضلات الشرج أو المستقيم ، أو قد يصاب الطفل بوهم اضطهادى بأن الجسم ممتلىء بالقاذورات ، أو قد يحاول السيطرة على الغير وعلى البيئة بسلوك اعتدائى . كما قد يتحول الفرد إلى شخص تسيطر عليه الأفكار والأفعال الاستحواذية التى سبق شرحها فى الأمراض العصابية النفسية ،

كما قد يؤدى التزمت فى تدريب الطفل على هذه العملية إلى تأكيد الشعور بالاثم والعار على حساب الشعور بالعزة والكرامة الذاتية ، كما تقوى النزعة إلى السادية « والتلذذ بالقسوة على الغير » أو الماسوكية « الشعور باللذة فى إيلام الغير له » .

٤ ـ المرحلة القضيبية :

يصبح القضيب مركز اللذة حوالى السنة الثالثة من العمر لكل من الصبي والصبية ، فالبظر فى البنت يحل محل القضيب فى الولد . واللذة الجنسية فى هذه المرحلة لذة ذاتية ، أى أنها لا تتجه إلى شيء أو فرد فى الخارج ، فيجد الطفل لذته فى العادة السرية أى اجتلاب اللذة باللعب فى أعضائه التناسلية .

ويرى « فرويد » أن عقدة أوديب ـ ويقصد بها ميل الطفل جنسيا نحو أمه ورغبته فى التخلص من أبيه ، وميل الفتاة إلى أبيها جنسيا ورغبتها فى التخلص من أمها ـ تتكون فى هذه المرحلة ، ويصاحبها فى الذكر الخوف من فقدان العضو التناسلى فيما يسمى بعقدة الخصى . ويقابلها فى الفتاة الغيرة من الولد لوجود قضيب له حرمت هى منه .

ويرى فرويد أن عقدة أوديب تنتهى بفقدان الطفل اهتمامه بعضوه التناسلى لعدم نضجه ، ولعدم فهمه فهما كافيا لدلالته ، ولخوف الطفل من الخصى ، وخوفه من أفكاره نحو موت الأب ، بينما تطول هذه المرحلة مع الفتاة لأنها ليست مهددة بفقدان عضو لا تملكه أصلا كالولد .

ويتميز سلوك الذكر فى هذه المرحلة بطابع الاختراق . فالقضيب يرمز إلى القوة وإلى القدرة على عملية الخرق والولوج ، فالطفل يجرى مخترقا الهواء ، وقد يصرخ ويصيح ويستعمل الألفاظ النابية وكلها مما تخرق الأذن ، كما يخترق مجاهل الأماكن التى تدعو إلى حب الاستطلاع . وقد يصادف الطفل فى هذه المرحلة

رؤية الجماع بين الأب والأم ، فيفسر هذه العملية على أنها عملية اعتداء على الأم خاصة وأنها تتم فى الظلام ، وقد تفسر الأصوات المصاحبة لها على أنهـــا شعور بالألم . ولا تختلف البنت عن الولد فى ذلك إلا فى فقدانها للقضيب . فبينما يرمز القضيب عند الولد بالقوة ، كما يرمز انتصابه للرجولة وما يدور حولها من خيال ، تفقد البنت هذا الرمز والخيالات التى تدور حوله ، فتتحول تدريجا إلى دور الأنثى التى تؤكده الثقافة التى تعيش فيها ، ومن مظاهر هذا الدور الخضوع والاستسلام ، أو محاولة الأخذ والطلب والاحتفاظ بما تأخذ والعناد وما شابه ذلك . وتقوى عند الولد فى هذه المرحلة نزعات قد تستمر معه ، مثل حب المغامرة والتنافس والقدرة على الابتكار .

والمشاكل المصاحبة للنمو فى هذه المرحلة والتى قد تؤدى إلى ثبات بعض مظاهر أنماط السلوك الخاصة بهذه المرحلة متعددة . إذ قد لا يمر الطفل بسلام وتثبت معه عقدة « أوديب » وعقدة « الخصى » . تخوف بعض الرجال من الجماع أو الزواج قد يكون خوفا لاشعوريا من فقدان العضو التناسلى فى رحم المرأة . كما أن منظر العضو التناسلى للمرأة واختلافه عن العضو التناسلى للرجل قد يكون مثيراً لعقدة الخصى وخشية الرجل من أن يكون مصيره كمصيرها . ومن مظاهرها أيضـــا استحواذ فكرة صغر العضو التناسلى على الفرد ، بما يخالف الواقع . فكثير من الشباب يعتقد دون حق فى صغر عضوه التناسلى وقد يكون هذا راجعا إلى رؤيته فى الصغر لعضو تناسلى لرجل ناضج فى الوقت الذى كان فيه عضوه التناسلى صغيرا لم ينضج بعد . كما أن الخنوثة فى بعض الرجال قد تكون حيلة هروبية لا شعورية للايحاء بأنه مثل النساء ولا داعى لعقابه بالخصى . كما أن الثبات على العادة السرية كمصدر وحيد لاشتقاق اللذة الجنسية وعشق الذات من مظاهر عدم النضج والثبات على هذه المرحلة .

٥ ـ مرحلة الكمون :

وتستمر هذه المرحلة ما بين السادسة والسابعة حتى المراهقة ، وفيها يخمد الدافع الجنسى وتقل حدته ، فلا يظهر فى سلوك الطفل ما قد يميز الدافع الجنسى عنده . ويميل الأولاد إلى اللعب والاختلاط بأولاد من جنسهم كما تميل الفتيات إلى اللعب مع بنات مثلهن . والميل الجنسى لأفراد من نفس الجنس مما تتميز به هذه المرحلة .

٦ ـ دور المراهقة والنضج الجنسى :

يؤدى التغير الجسمانى ونشاط الغدد التناسلية فى سن المراهقة إلى أن يبحث المراهق عن هدف يشبع حاجته الجنسية . ويرى فرويد أن التعلق بالوالدين واتجاه الدافع الجنسى نحوهما يظهر ثانية فى بداية هذه المرحلة . إلا أن هذا لا يستمر طويلا بحكم التقاليد التى تحول دون اشباع هذا الدافع مع المحارم ، فيستمر المراهق فى سعيه حتى يجد من يشبع هذه الحاجة معه . وهو عادة فرد من الجنس الآخر ، اللهم إلا إذا كان هناك جمود على مرحلة من المراحل السابقة ، أو خبرات غير سارة تؤدى إلى النكوص إلى إحدى هذه المراحل . ويتخذ الشاب فى هذه المرحلة طريقه نحو الرجولة ، كما تتخذ الفتاة طريقها نحو الأنوثة الكاملة مدركة لأهمية عضوها التناسلى فى عملية الاخصاب والانتاج .

ولقد وجهت انتقادات عدة إلى نظرية فرويد ، وإلى مراحل النمو الجنسى ، فيرى المحللون المحدثون ومنهم كلارا تومبسون Thompson أن الخطأ فى نظرية فرويد يمكن تلخيصه فيما يأتى :

١ ـ أنه عزا التطور الجنسى إلى تطور بيولوجى غريزى . بينما تعزى بعض هذه التطورات إلى أثر الثقافة الغربية .

٢ - كما أن فرويد أعطى معنى جنسياً لكل تطور بيولوجى ، وفى رأيها أن بعض العوامل البيولوجية ما هى إلا عناصر هامة فى عمليـــة النمو ، وليس من الضرورى أن يكون لها معنى جنسى ، فاذا نظرنا إلى مراحل النمو السابقة فى ضوء هذين الاعتبارين وجدنا أن فرويد قد لخص تلخيصا جيداً . مبنياً على الملاحظة العملية المباشرة مراحل النمو فى الثقافة الغربية ، فالمرحلة الفمية تقررها عوامل بيولوجية ، فأنضج الأعصاب فى المخ عند الولادة هى الأعصاب التى تتحكم فى منطقة الفم .

ولاشك فى أن الطفل يتصل بعالمه الخارجى ويختبره ويفهمه عن طريق فمه ، لذا يتشكك الكثيرون فى أن اللذة الذاتية عامل أساسى فى نشاط الفم ، إذ يبدو أن الطفل يتصل بالعالم الخارجى عن طريق فمه ، لأنه العضو الوحيد الذى يساعده على ذلك فى هذه المرحلة فهذه المرحلة تعزى إلى نمو جسمانى ، وليست إلى لذة ذاتية . فضلا عن أن العالم الخارجى الذى يتصل به الطفل عن طريق فمه يختلف من طفل إلى طفل بحكم اختلاف الثقافات .

لذا كانت خبرات الأطفال عن طريق هذا العضو مختلفة ، مما يؤدى إلى اختلاف شخصياتهم ، إذ تختلف الثقافات فيما بينها فى طريقة الرضاعة وفى مدتها فعلى الرغم من وجود أساس عضوى فى هذه المرحلة فان الطفل يتأثر إلى حد كبير بالعوامل الثقافية التى تسود بيئته .

فاذا ما انتقلنا إلى المرحلة الشرجية وجدنا أن للعوامل الثقـــافية أيضا أثرا كبيراً ، فلاشك أن القدرة على التحكم فى عضلات المستقيم والشرج تتوقف على النمو الجسمانى العصبى للطفل ، إلا أن الثقافات المختلفة تختلف أيضا فى طرقها فى تنظيم هذه العملية وفى الموعد الذى يبدأ فيه تنظيمها ، وما وصفه فرويد من مميزات هذه المرحلة ينطبق على الثقافات الغربية وما يماثلها من الثقافات ، ولاينطبق على

غيرها مما يختلف عنها فى هذه الناحية .

إذن فالأهمية هنا ليست اللذة التى يجتلبها للطفل من عملتى الاخراج والقبض ولكن الأهمية للكفاح الذى يدخل فيه الطفل مع والديه لتنظيم هذه العملية ، إذ يرغب الطفل فى التحرر من القيود ، ولأول مرة فى حياته تتعارض رغباته مع رغبة الوالدين مما يؤدى إلى التأثير على شخصيته ، فقد يجد الطفل فيما يكتشفه من لذة فى السيطرة على البراز عزاء له يساعده على التوفيق بين ارادته ورغبة والديه ، كما تشكك كلارا تومسون فى أسبقية المرحلة الشرجية على المرحلة القضيبية ، إذ ثبت أن الأعصاب التى تتحكم فى كل من الشرج والقضيب تنضج فى وقت واحد وهى لا ترى سببا وجيها لأن يهتم الطفل بشرجه قبل قضيبه اللهم إلا إذا كانت الثقافة تدعو إلى ذلك ، فقد تكون ثمة ثقافة أخرى يكون السبق فيها للمرحلة القضيبية .

ولاشك أن هناك أساسا عضويا للمرحلة القضيبية ، إلا أن الطفل لا يبدى اهتماما بعضوه التناسلى حتى يتمكن من التحكم فيه ، فيحاول حينئذ اكتشاف ما يمكنه أن يفعل بهذا العضو وما يختلف فيه البنون عن البنات ، فيكتشف اللذة الحسية عن طريق لمسه لهذا العضو ، وهذا الاكتشاف ماهو إلا واحد من عدة اكتشافات يقع عليها ، وما حسد البنت للولد إلا لقدرته على اتيان أعمال به تعجز هى عن القيام بها ، إذ يتمكن الطفل من قذف البول إلى أعلى وإلى مسافة بعيدة يوجهه وجهات مختلفة مما تعجز هى عنه ، ويؤدى هذا إلى شعورها بعدم المساواة — تبعا لمعايير الأطفال — وقد يؤدى إلى شعورها بالنقص فى المستقبل فى نواح أخرى .

ولاشك أن لنظرة الوالدين أثرا فى ذلك ، إذ يؤدى اكتشاف الطفل للذة فى لمسه العضو التناسلى إلى استثارة اهتمام الأبوين واعتراضها ، كما أن الخوف من الخصى الذى تكلم عنه فرويد قد يكون نتيجة لغضب الآباء من لعب الطفل

بأعضائه التناسلية وتهديدهم اياه بقطع هذا العضو أو غيره .

وليس هناك من داع للاعتقاد بأن طفلا آخر لم يعامله أبواه هذه المعامله سيوجد عنده حتما هذا الخوف وهذه العقدة .

كما أن عقدة أوديب ليست عامة فى كل الثقافات ، إذ يبدو أنها قاصرة على الثقافات التى تحتم تقاليدها وجود زوجة واحدة ، وتتكون فى الاسرات الصغيرة العدد ، فلايحتك الطفل فى معاملاته بغير الأم والأب . وليس هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن تعلق الطفل بأحد والديه راجع الى أسباب جنسية ، اللهم الا اذا حاول الآباء أنفسهم استغلال الطفل لاشباع العامل الجنسى بدافع لاشعورى ، فقد ذكرنا أن الطفل يحاول اكتشاف ما قد يفعله بهذا العضو ، واحتكاك الطفل بأحد الوالدين عن طريق الضم والتقبيل يؤدى الى اجتلاب الطفل للذة عن طريق هذا العضو . ويتوقف تكون هذه العقدة على شعور الأبوين نحو عاطفة الطفل تجاههما ، فقد لايسترعى انتباهه ويمر على أنه أمر عادى ، وقد يحدث العكس ، مما يؤدى الى تثبيت هذه النزعة فى الطفل .

الا أن هذا النقد لاينتقص من أهمية نظرية فرويد ، فلاشك أن مراحلها تنطبق على مراحل النمو الجنسى فى الثقافة الغربية والثقافات المماثله .

ويتشكك المحللون المحدثون فى اللذة المصاحبة لكل مرحلة من المراحل ، ويرون أن المشكلة تنحصر فى العلاقات الانسانية بين الطفل ووالديه واختلافها وتنوعها فى كل مرحله منها . ويرجع الفضل الى فرويد فى بيان أن الطفل المدلل يجد لذة فى جسمه ووظائفه المختلفة ، وقد يعكف الطفل على هذه اللذة التى تدور حول نفسه اذا ما كان تعسا فى حياته .

العوامل التى تؤدى الى الانحراف الجنسى :

ذكرنا فيما سبق أن الانتقال من مرحلة الى مرحلة لايعنى زوال مظاهر المرحلة السابقة بل تستمر هذه المظاهر جنبا الى جنب مع مظاهر المرحلة التى انتقل اليها الطفل . الا أن الاضطراب فى النمو قد يؤدى الى الجمود فى مرحلة دون الانتقال الى المرحلة التى تليها ، كما يؤدى الى بروز بعض مظاهر المرحلة السابقة، فاذا ما صادف الطفل صعابا فى مرحلة من المراحل نكص الى مرحلة سابقة كان يشعر فيها بالأمن والاستقرار . والجمود والنكوص يكمل بعضهما البعض . ويشبه فرويد ذلك بالجيش الذى يتقدم فى أرض الأعداء تاركا خلفه فيالق لاحتلال المواقع التى فتحها ، فكلما كانت الفيالق المتروكة قوية ضعفت قوة الجيش المتقدم ، فاذا ما صادف الجيش مقاومة تقهقر الى مراكزه القوية التى تركها خلفه . وهكذا كلما كان الجمود على مرحلة من المراحل قويا سهل النكوص الى هذه المرحلة .

والعوامل التى تؤدى الى الجمود هى :

١ ـ الاشباع الزائد فى مرحلة من المراحل يجعل من الصعب التخلى عن هذه المرحلة ، فاذا ما صادف الفرد صعابا بعد انتقاله منها شعر بالحنين إلى المرحلة التى سعد فيها ونكص اليها .

٢ ـ الشعور بالاحباط فى مرحلة من المراحل يعوق الفرد عن التقدم إلى المرحلة التالية ، فاذا أدى الاحباط إلى الكبت انفصل الدافع المكبوت عن بقية الشخصية وعجز عن التعاون معها فى التطور والنمو ، ويظل هذا الدافع المكبوت عند المرحلة التى كبت فيها ، ولا يستطيع التحرر منها .

٣ ـ ومما يؤدى إلى الجمود التغير المفاجىء من حالة سعادة واشباع إلى حالة احباط وتعاسة . وفى الانحرافات الجنسية نكوص إلى مرحلة من

مراحل التطور الجنسى فى الطفولة وجمود عليها . وقد بينا أن الانحراف قد يكون فى الهدف الذى يشبع الدافع الجنسى ، أو فى منطقة الجسم التى يجتلب منها اللذة . وليس هناك أساس علمى سليم للزعم الذى يقول بأن الانحرافات الجنسية موروثة أو متوقفة على التكوين الجسمانى دائما . وما يسمى بالانحرافات الجنسية ليس إلا خبرات تمر بحياة فرد فى الواقع أو فى الخيال . إلا أنها قد تكون النمط السائد لبعض الأفراد ممن ينعتون بالانحراف أو الشذوذ .

وما دامت الانحرافات الجنسية ليست إلا نكوصا إلى مرحلة من مراحل النمو فى الطفولة والجمود عليها ، فكل فرد عرضة لهذه الانحرافات بحكم مروره فى نموه بهذه المرحلة . وتتكون الانحرافات لصادفته خبرات جنسية قاسية أدت به إلى النكوص إلى مرحلة من مراحل الطفولة . والقاعدة فى التحليل النفسى هى أن الفرد الذى ينكص إلى مرحلة جنسية من مراحل الطفولة يعتبر منحرفا جنسيا . أما المنحرفون الذين يلجأون إلى حيل دفاعية أخرى بعد نكوصهم فيعتبرون مرضى بالعصاب النفسى . ومما لاشك فيه أن هناك بعض المنحرفين جنسيا ممن تنطبق عليهم هذه القاعدة ، وهؤلاء يتميز سلوكهم بالطفلية ، لا فى الناحية الجنسية فقط ، ولكن فى كل أنماطه ، غير أن هناك من المنحرفين جنسيا من لاتوجد لديهم سوى طريقة واحدة لاشباع الدافع الجنسى ، إذ تتركز عندهم الطاقة الجنسية فى اتجاه واحد يتصارع مع الاتجاه العادى الذى يقوم ضده عائق ما ، وتكون العملية الجنسية المنحرفة وسيلة للتغلب على هذا العائق .

وكان فرويد يرى أن المنحرفين لا يعانون من الصراع النفسى أو الكبت ، لأنهم ينفسون عن الدافع الجنسى ويجدون سبيلا لتحقيق اللذة ، فليس هناك من حاجة إلى تحليلهم نفسيا ، لأن التحليل لن يجدى معهم . إلا أن الخبرة التى استمدها

المحللون من الحالات التى وردت اليهم ، أثبتت أن المنحرفين جنسيا مثلهم كمثل المرضى بالعصاب النفسى يعانون من الكبت ، فعندهم عقدة أوديب والقلق من الخصى .

والفرق بين العصاب النفسى والانحراف الجنسى أن أعراض العصاب النفسى ليست مشبعة للدافع الجنسى ، بينما تعتبر من عناصر الجنسية الطفلية فى الانحراف، وبينما يعانى المريض بالعصاب النفسى من القلق الناتج عن الخوف من التعبير عن الانفعالات الذاتية ، نجد أن المنحرف جنسيا لا يعانى من مثل هذه الأنواع من القلق. ويرى كنزى الذى درس السلوك الجنسى للرجل والمرأة دراسة مستفيضة فى أمريكا أن الانحرافات لا تعنى اضطراب أصحابها نفسيا ، أو مرضهم بمرض عصاب نفسى أو مرض عقلى ، فكثير منهم يتكيف اجتماعيا ، كما أن الانحرافات ليست أنماطا من السلوك منفصلا بعضها عن بعض ، وليست الفئة المنحرفة جنسيا فئات مختلفة ، إنما الانحرافات أنماط من السلوك متدرجة : أى تختلف فى درجتها ، ويمكن ترتيبها تنازليا أو تصاعديا تبعا للدرجة ، وهو لا يرى تسميتها بالانحرافات بل يرى الاستعاضة عن ذلك بتسميتها بالسلوك النادر ، أو السلوك الأكثر شيوعا ، فاذا كان السلوك الجنسى الأكثر شيوعا هو ميل الرجل للمرأة ، والأقل شيوعا هو ميل الرجل لرجل مثله فلا يعنى هذا أن الاستعداد لذلك غير موجود فى كل الأفراد .

أنواع الانحرافات الجنسية

الجنسية المثلية :

ويقصد بها اتجاه الدافع الجنسى فى الفرد إلى فرد من جنسه ، فلا يميل الرجل جنسيا إلا إلى رجل مثله ، ولا تميل المرأة جنسيا إلا إلى امرأة مثلها ، وقد يلعب أحد الرجلين فى مثل هذه العلاقة دور المرأة والآخر دور الرجل ، كما تلعب

إحدى المرأتين دور الذكر وتلعب الأخرى دور الأنثى . وقد يكون الاتصال الجنسى باللواط والسحاق ، وتبادل لمس الأعضاء التناسلية باليد أو بالفم . أو بمجرد الاستلطاف والاستظراف والحب الأفلاطونى الذى قد لا يتعدى الاتصال الجنسى فيه حد القبل . وقد وجد كنزى فى دراسته للسلوك الجنسى الرجل الأمريكى أن غالبية الرجال كانت لهم خبرات جنسية مثلية فى تاريخ حياتهم . وأن حوالى ٥٠٪ من الرجال الذين لا يتزوجون حتى سن الخامسة والثلاثين يثبتون على هذا الانحراف ، وأن حوالى ٦٠٪ من الصبيان لهم نشاط من هذا النوع قبل المراهقة . أما النساء فقد وجد أن النسبة بينهن تبلغ حوالى ٣٣٪ ممن كانت لهن خبرات من هذا النوع ، وأن حوالى ٢٥٪ ممن لا يتزوجن حتى سن الخامسة والثلاثين يثبتن على ذلك .

وتجمع كثير من الكتب الأجنبية على أن نسبتها بين العرب ومعتنق الديانة البوذية أعلى من ذلك بكثير ، نظراً لتحريم الاختلاط بين الرجال والنساء ، إذ ثبت أن نسبة ممارسة هذا السلوك ترتفع فى الظروف التى تؤدى إلى حياة جماعة من من الرجال وحدهم مدة طويلة ، بعيدين عن الجنس الآخر ، وهذا ما يعلل به انتشار الجنسية المثلية فى الجيوش والسجون والمدارس الداخلية وفى المدارس التى لا يختلط فيها الجنسان .

ومما يجب ملاحظته أن النسب التى يقدر بها مدى انتشار هذا السلوك مشكوك فى صحتها ، ويرى المختصون أنها قد تكون أعلى من ذلك ، لأن من يسلكون هذا المسلك لا يكشفون الستار عن أنفسهم أثناء البحث العلمى ، خوفا من عقاب المجتمع لهم وحرمانهم من كثير من الوظائف والأعمال .

والجنسية المثلية — إذا تركنا الأحكام الخلقية جانبا — سلوك عام فى كل الأفراد يختلف فى درجته من فرد إلى فرد ، إذ أن مجرد الرغبة فى مصاحبة أفراد من نفس

الجنس ومصادقتهم تعتبر جنسية مثلية تختلف فى درجتها عن معاشرة الفرد جنسياً لفرد من نفس جنسه ، مع عدم اختلاف هذين النمطين من السلوك عن بعضها فى النوع . ولا شك أن ثقافتنا لا تنتقد كثيرا من أنواع السلوك التى تعتبر جنسية مثلية مع عدم وجود الاتصال الجنسى فيها ، فكثيرا ما يفضل بعض الرجال أصدقاءه ورغباتهم على زوجته ورغباتها، وقد تبرر الثقافة له هذا المسلك وتمتدحه فيه ، فيوصف الرجل بأنه رجل حقا وبأنه لا تسيطر عليه زوجته ، وكثيرا ما يتعفف الرجل عن البقاء مع زوجته وبين أولاده مفضلا قضاء الساعات الطويلة فى المقاهى مع أصدقائه ، وهذا يدخل أيضا فى نطاق الجنسية المثلية الشائعة التى قد لا تنتقدها الثقافة . وقد تشجع ثقافتنا مثل هذه الأنماط من السلوك بطريق غير مباشر بانتقادنا للعلاقات الغرامية بين الشباب ومما تعنيه اختلاط الجنسين فى مراحل التعليم المختلفة خوفا مما قد ينتج عن ذلك من أضرار ، متغافلين عن الأضرار التى تحدث فعلا سواء فى مدارس البنين أو مدارس البنات ، من تعلق البنات تعلقا غراميا ببعضهن أو بمدرساتهن تعلقا لا يخلو من الجنسية التى قد تؤثر فى مدى تكيفهن للحياة الزوجية فى المستقبل ، وكذلك الحال فى مدارس البنين ، وكأننا قد ارتضينا ـ عن غير عمد ـ للفتاة أن تفقد أنوثتها وللصبى أن ينحرف دون خشية ، بينما نخشى على الفتاة وعلى الرجل من اتصال أحدهما بالآخر .

ويرى علماء النفس أن الضرر الاجتماعى الناجم عن الجنسية المثلية الكامنة ، الموجودة فى كل فرد تقريبا بدرجات متفاوتة ، أخطر من ضرر الجنسية المثلية التى يكون فيها اتصال جنسى فعلا، لأن الشخص الذى يمارسها فعلا تنعدم لديه المشاكل التى تؤدى الى الصراع النفسى ، إلا تلك التى يسببها المجتمع له بانتقاده لسلوكه والقيود التى يضعها حوله ، أما الشخص الذى يعانى من الجنسية المثلية الكامنة ، فلديه صراع حاد يؤدى إلى شعوره بالقلق من خطر لا يعرف مصدره ، وقد

يصل الخوف من وجود هذه النزعة الكامنة فيه إلى حد الفزع فيلجأ الى حيل دفاعية منها : القسوة الشديدة مع أفراد الجنسين ما دامت القسوة عنوانا للرجولة والغيرة على النساء أو منهن ، وانتقادهن كما قد يعكف على مزاولة الألعاب الرياضية العنيفة كالمصارعة والملاكمة لاثبات رجولته ، أو يندفع فى تيار الشهوة الجنسية فينتقل بين أحضان النساء مفاخراً مباهياً بقوته على قهرهن ومدى طاقته الجنسية فى اشباعهن ، كما قد تكون العادة السرية من الحيل الدفاعية التى تساعده على الهروب من هذا الصراع .

وقد تعبر هذه الظاهرة عن نفسها بشكل جمعى فى الجماعات الدينية المتزمتة التى تحارب المرأة وحقوقها بدعوى الدين ؛ كما يعزى الى هذه النزعة الشجار المستمر بين جماعة من الأصدقاء يقيمون فى مكان واحد دون وجود نساء فى حياتهم .

والاتجاه الحديث فى تفسير أسباب هذا الانحراف هو اعتباره سلوكا متعلما من الثقافة ويتوقف الى حد كبير على خبرات الفرد فى بيئته . ويتشكك الباحثون فى الرأى القائل بأن هناك أساسا وراثيا أو أساسيا بيولوجيا له ، فمن الثابت أن كلا من الهرمونات الذكرية والأنثوية موجودة فى كل من الرجل والمرأة بنسب متفاوتة ، إلا أنه لم يثبت قطعاً أن زيادة نسبة الهرمونات الذكرية فى المرأة قد تؤدى إلى انحرافها ، أو أن نسبة زيادة الهرمونات الأنوثية فى الرجل قد تؤدى الى انحرافه ، كما أنه لم يثبت قطعاً أن خنوثة الرجال وذكرية الميول فى النساء ـ ما اتخذ أساسا لعمل الاختبارات التى تقيس درجة الرجولة والأنوثة فى النساء والرجال ـ بينها وبين الانحرافات الجنسية ارتباط ، فقد يكون الرجل مخنثا فى ميوله مع تفضيله للنساء دون غيرهن فى العملية الجنسية ، وقد تكون المرأة ذكرية فى ميولها مع تفضيلها للرجال دون غيرهم .

العادة السرية :

وتطلق على كل استثارة لمسية ذاتية تؤدى الى اللذة الجنسية . فقد تكون الاستثارة بلمس الأعضاء التناسلية باليد أو بالضغط عليها بأى شيء آخر . ومن الخطأ اعتبارها انحرافا جنسيا ، إذ هى عامة يمارسها الكبار والصغار ، والنساء والرجال ، المتزوجون منهم وغير المتزوجين . وتنفى عموميتها عنها صفة الانحراف أو الشذوذ ، فقد وجد كنزى أن نسبة من يمارسون العادة السرية من الرجال فى أمريكا هى ٩٢٪ ترتفع إلى ٩٦٪ بين شباب الجامعة ، وأن ٩٩٪ من المتزوجين يمارسونها مرة على الأقل كل أسبوعين . أما فى النساء فهى منتشرة بينهن بنسبة ٦٢٪ ، كما أن غالبية النساء تشتق منها لذة جنسية قد تفوق أى لذة يحصلن عليها من الاتصال الجنسى .

وقد نسب كثير من الأشرار إلى العادة السرية كالعمى ، والسل ، والجنون ، وفقدان القدرة على أداء العملية الجنسية وغير ذلك . ويبدو أن فى هذا الكلام كثيراً من المبالغة . وينتقد كنزى بعض علماء النفس والمعالجين النفسيين والأطباء الذين يقولون أنه لا ضرر لها ، ثم يمحون فائدة هذا القول بالتعقيب عليه بقولهم بأن ممارستها قد تؤدى إلى تعود الفرد عليها وعدم استمتاعه باللذة الجنسية فى الحياة الزوجية بعد ذلك مما لا يقوم على أساس علمى . فأقوالهم تدل على ترددهم وعلى مدى تأثرهم بالتراث الثقافى الذى لم يتمكنوا من التخلص منه ، ويبدو ذلك فى الجهود التى يبذلونها لتشجيع الشباب فى العزوف عنها ، فيزيدون بذلك من حدة الصراع الذى يعانى منه الشباب لممارستها ، ومشكلة الشباب التى يمارسها هى الصراع والشعور بالذنب اللذان يصاحبان ممارستها مما قد يؤدى بالبعض إلى محاولة الانتحار . والصراع والشعور بالذنب لا أساس لوجودهما إلا فى الخطر الوهمى الذى تغرسه فيهم الآراء الخاطئة عن هذه العادة . وقد وجد كنزى فى دراسته التى

أجراها على ٥٢٠٠ ذكراً أمريكياً أن ٥١٠٠ منهم لهم خبرة بالعادة السرية ، ولم تؤد هذه العادة معهم إلى أى ضرر يمكن ملاحظته ، اللهم إلا فى حالات نادرة كان أصحابها ـ أصلا ـ يعانون من أمراض عقلية . وقد ذكر أن لديه من الأدلة ما يثبت أن آلافا من الأولاد يعيشون فى صراع دائم خوفا من خطرها ، بل ويحاول بعضهم الانتحار نتيجة للتعاليم الخاطئة ، بينما غيرهم من الأولاد ممن لم تزعجهم ممارستها ، كانت هذه العملية هى الملجأ الوحيد لهم للاشباع الجنسى ، ولازالة التوتر العصبى ، وقد عانى هؤلاء الأولاد الذين كبحوا زمام أنفسهم ، ولم يتمكنوا من التنفيس عن الدافع الجنسى بطريقة ماخوفا من النقد أو لضعفهم بيولوجيا أو جسمانيا .

ولا تؤدى العادة السرية إلى حب العزلة أو الجنون أو الضعف الجنسى فى الزواج، ولكن قد يحدث أن يكون المحب للعزلة أكثر استعداداً لمزاولتها من غيره، كما قد تكون هذه العادة عرضا مصاحبا وليست سببا فى الاضطرابات النفسية والأمراض العقلية التى يعانى منها الأفراد. وينصب العلاج فى هذه الحالات لا على علاج العرض ولكن على علاج المرض الأصلى والصراع المصاحب له . ويرى البعض أن العادة السرية قد تكون سببا لاكتساب خبرات تمهد للنجاح فى الحياة الزوجية لا الفشل فيها .

ويجدر بى أن أشير هنا إلى الخبرة التى قد يمر بها بعض الشبان فيفقدون الثقة فى أنفسهم ويحسون فى أعماقها بالقلق ، وهذه الخبرة هى الفشل فى أداء العملية الجنسية فى أول محاولة لهم مع النساء أو فى محاولات تالية . فقد يعزو البعض ذلك إلى مزاولته للعادة السرية ، وهذا رأى خاطىء. إذ أن هذه الخبرة أمر عادى يبعث عليها الخوف من الفشل الذى يؤدى إلى الفشل فعلا . كما أن لرهبة الموقف وجدة الخبرة

أثرا فى ذلك أيضا . ويرجع الفشل عادة إلى عوامل نفسية قد تكون أعمق من ذلك ولا أثر للعادة السرية فيها .

ويعزو البعض سرعة القذف إلى العادة السرية . وهذا رأى خاطىء أيضا ، إذ أن الرجال عادة أسرع وأسهل استثارة من المرأة . وقد وجد كنزى فى دراسته أن حوالى ٧٥ ٪ من الرجال يتمون العملية الجنسية فى مدة لا تزيد عن دقيقتين ، وهذا الوقت لا تدخل فيه مدة المداعبة التى قد تطول أو تقصر تبعا لما تعود عليه القرينان أو أحدهما ، كما أن عددا كبيرا لا تستغرق معه العملية أكثر من دقيقة واحدة ، وأحيانا عشر ثوان أو عشرين على الأكثر . ومن الخطأ اعتبار هؤلاء مرضى بالعصاب النفسى أو غيره كما يعتقد بعض الاخصائيين النفسانيين ، فهذا أمر عادى بالنسبة لكثير من الرجال وإن كان من الممكن أن يتعلم الرجل كيف يتحكم فى نفسه فيطيل العملية إلى خمس دقائق بل ونصف ساعة أو أكثر . إلا أننا إذا عرفنا أن عددا كبيرا من النساء تتطلب استثارتهن مدة طويلة جدا ، وأن عددا كبيرا منهن لن يصل إلى قمة اللذة الجنسية طيلة حياته ، وجدنا أنه من التعسف مطالبة الرجل بالانتظار حتى تتم المرأة لذتها ، ودون ذلك خرق القتاد .

الانحرافات الجنسية الأخرى :

١ ـ النرجسية : أو عشق الذات :

ويقصد بها عشق الذات أو غرام الفرد بذاته وإعجابه بنفسه وشكله وجسمه ، ويتخذ هذا الفرد ذاته هدفا لإشباع دافعه الجنسى ، فيجمع الصور العديدة لنفسه عاريا أو فى أوضاع مختلفة ، كما يقضى الساعات الطويلة أمام المرآة متزينا والها تيها واعجابا بنفسه ، ويكون الأفراد من هذا النوع عادة محبين للعزلة ، ويذوبون رقة وحساسية ، أو قد يتميزون بالبرود العاطفى وعدم القدرة على حب الغير ، فقد

اتجه جسمهم كله لا نفسهم فلم تعد هناك بقية منه لأحد . ويرى علماء النفس أنها حالة جمد فيها الفرد على المرحلة القضيبية وأصبح لا يجد لذة جنسية إلا فى العادة السرية.

٢ ـ الاستعراء :

يقصد بذلك كشف العورة علنا للنساء فى مكان عام مما يضفى على الفاعل لذة جنسية لا يجدها فى غير هذا الفعل . والمصابون بهذا الانحراف عادة من الرجال المسنين ، وهم غالبا خجولون يعتريهم شعور بالعار مع فقدان القدرة على التحكم فى دوافعهم . ويفسر هذا الشعور بعدم حل عقدة أوديب وعقدة الخصى عند الفرد.

وما يجدر ذكره أن الثقافة الغربية وثقافتنا ـ إلى حد ما ـ تقبل مظاهر الاستعراء فى الفتاة فيما ترتديه من ملابس تكشف فيها عن ساقيها وتبرز مفاتن أجزاء جسمها المختلفة .

٣ ـ الانحرافات الفمية :

ويكون الفم فيها مصدر اشتقاق اللذة الجنسية كلمس الأعضاء التناسلية للمرأة بالفم ، وتلذذ المرأة بأن يتم الرجل العملية الجنسية فى فمها . ولا يعتبر كنزى هذين النوعين من الانحرافات الجنسية إذا كانا ضمن اللعب الجنسى الذى يسبق العملية بين الرجل والمرأة ، إذ وجد أن أكثر من ٦٠٪ من المتزوجين من بين المتعلمين فى أمريكا يقومون بذلك كتمهيد للعملية الجنسية نفسها ، ويعتبران انحرافا حين تقتصر اللذة الجنسية عليها . ويرى المحللون أن المنحرفين من هذين النوعين قد نكصوا إلى المرحلة الفمية الأولى وجمدوا عليها .

٤ ـ الاثرية :

ويقصد بها اتجاه الدافع الجنسى نحو أثر من آثار المرأة يرمز لها كالملابس الداخلية والأحذية والحلى وما شابه ذلك ؛ ومن مظاهرها إصرار البعض على أن

ترتدى من تؤدى معه العملية الجنسية نوعا خاصاً من الملابس أثناء العملية ، أو وجود رائحة خاصة ، أو ترتيب السرير وتزيينه بزينة خاصة . والمنحرفون من هذه الفئة قد يقعون فى مشاكل توقعهم تحت طائلة القانون لدخولهم المنازل أو المحال التجارية عنوة ، لسرقة بعض الأشياء أو الملابس التى تشبع دافعهم الجنسى، وهؤلاء يعانون عادة من خوف، كراهية النساء لهم وعدم رغبتهم فيهم ، فيجدون فيما يسرقون رمزاً لسيطرتهم عليهن ، وقد يكون المتاع المسروق بينه وبين عضو المرأة التناسلى شبه كقطعة الفرو أو القطيفة .

٥ ـ مرض السرقة :

وقد يعتبر الدافع إليه دافعاً جنسياً وخاصة فى النساء ، ويعزوه النفسيون إلى عقدة غيرة المرأة من القضيب . وترمز السرقة حينئذ للرغبة فى تجريد الأب أو الرجل من سلاحه الذى يتميز به عليها .

٦ ـ السادية والماسوكية :

وهما طريقتان لإشباع الدوافع الجنسية عن طريق الإيلام والتألم المتبادل . وتوجد السادية عادة فى الرجال ، إذ لن يجد هؤلاء لذتهم إلا بإيلام الضحية وتعذيبها ورؤية دمها يسيل أحيانا ، وتوجد الماسوكية عادة فى النساء ، ويقصد بها الرغبة فى الألم والعذاب على أيدى العاشق ، وتوجد السادية والمسوكية عادة متلازمتين فى الفرد الواحد . ولا تقتصر هاتان النزعتان على الناحية الجسمانية التى تسبق أداء العملية الجنسية بل تتغلغلان فى حياة الفرد العقلية فتصبغان كل سلوكه وأفعاله فى الحياة العامة وفى معاملاته مع الناس . ويكون نكوص هؤلاء وجمودهم عادة على المرحلة الشرجية .

هذه بعض الانحرافات الجنسية التى تؤدى إليها التربية الخاطئة وما يقبعها من

كبت ونكوص إلى مرحلة من مراحل النمو الجنسى والجمود عليهـــا ، ويجب أن نؤكد أن الشذوذ أمر نسبى يتوقف على الثقافة ومعاييرها ، فما قد يعتبر شاذا فى ثقافة ما قد لايعتبر شاذا فى ثقافة أخرى ، وان كان الاتجاه الحديث يحدد مدى الشذوذ بمدى مايتضمنه من صراع بصرف النظر عن المعايير الثقافية . كما يجب أن نؤكد أن السلوك الشاذ لايختلف عن السلوك العادى فى النوع ولكن يختلف عنه فى الدرجة ، وليس هناك فاصل ليبين الدرجة التى تفرق بين السلوك الشاذ والسلوك العادى .

يضاف إلى الانحرافات الجنسية التلصص على الغير أثناء أداء العملية الجنسية أو الاشباع الجنسى مع الحيوانات وتزين الرجال بزى النساء والعكس بالعكس.

ونحن لانعرف مدى انتشار ما يسمى بالانحرافات الجنسية وغيرها فى ثقافتنا لانعدام البحوث العلمية فى هذا الميدان. ونحن فى حاجة ماسة اليهـا ، ولاشك أن هذه البحوث قد تكشف لنا الكثير من الخبايا التى قد يؤدى ايضاحها إلى تصحيح كثير من الأخطاء الشائعة حول الدافع الجنسى وتغيير وجهة النظر التى ننظر بها إلى ما يسمى بالإنحرافات .

تصنيف الجرائم الجنسية والخلقية *

تصنف الجرائم الجنسية فى قانون العقوبات المصرى والقانون رقم ١٠ لسنة ١٩٦١ فى شأن مكافحة الدعارة كما يلى :

١ ـ الاغتصاب : مادة (٢٦٧) ويقصد به مواقعة أنثى بغير رضاها على أن تكون العملية الجنسية تامة ، ويتضمن ذلك مواقعة أنثى دون السن القانونى برضاها

---

* ملخصة من كتاب الجرائم الخلقية للاستاذ صالح مصطفى ، دار المعارف ١٩٦٢ .

إذ يعتبر ذلك أيضا اغتصابا لأن ارادتها لا يعتد بها .

٢ ـ الشروع فى الاغتصاب :(نفس المادة السابقة) ويثبت من الواقع وظروف الدعوى وملابساتها ثبوت أن العقل كان منصرفا للمواقعة .

٣ ـ اغتصاب المحارم: وذلك بأن يكون الجانى من أصول المجنى عليها ويقصد بهم من تناسلت عنهم تناسلا حقيقيا لا اعتباريا ، كذلك من لهم سلطة على المجنى عليها:

٤ ـ هتك العرض:(مادة ٢٦٨) المقترن بالقوة أو التهديد أو دون الاقتران بها (مادة ٢٦٩):وهتك العرض هو التعدى الفاحش المنافى للآداب الذى يقع على جسم أو عرض شخص آخر ، مثل القاء بنت على الأرض وفض بكارتها بالاصبع والامساك بموضع العفة من رجل أو امرأة ، وقرص امرأة فى عجزها ، أو تمزيق لباس الغلام من الخلف ولو لم تحدث ملامسته ، وتطويق كتفى امرأة وضمها اليه لملامسة موضع العفة منها . . . . الخ .

٥ ـ الزنا: (مادة ٢٧٣ إلى ٢٧٧) للزوج والزوجة وتقتضى وجود شريك يجامع الزوجة أو شريكة تجامع الزوج جماعا غير شرعى .

٦ ـ الفعل الفاضح العلنى:(مادة ٢٧٨) وهو فعل مادى يخدش فى المرء حياء العين أو الأذن ، ويتضمن جرح الشعور العام لاحياء شخص معين ، واشتراط توافر العلانية مثل أفعال أو اشارات علنية تقع من الجانى على نفسه (كممارسة العادة السرية أمام جمهور) أو على جسم الغير فتخدش حياء المشاهدين .

٧ ـ الفعل الفاضح غير العلنى:(مادة ٢٧٩) وهو فعل مادى مخل بالحياء يقع على امرأة فى غير علانية وبدون رضاها مع توفر القصد الجنائى .

٨ ـ التحريض على الفسق بالاشارة أو الفعل: (مادة ٢٦٩ مكرر) مثل وجود شخص فى طريق عام أو مكان مطروق يحرض المارة على الفسق باغراءات وأقوال

٩ ـ الاخلال بحياء أنثى : (مادة ٢٠٦ مكرر) ويرجع فى تحديد الأفعال والألفاظ التى تقوم عليها الجريمة إلى العرف والبيئة مع اشتراط وقوع الفعل فى مكان عام أو مكان مطروق .

١٠ ـ انتهاك حرمة الآداب :(مادة ١٧٨) ويقصد بها صنع أوحيازة ـ بقصد الاتجار أو التوزيع أو اللصق ـ مطبوعات أو مخطوطات أو رسومات يدوية أو فوتوغرافية أو امارات رمزية أو غير ذلك من الأشياء أوالصور عامة إذا كانت منافية للآداب العامة .

١١ ـ الدعارة والتحريض عليها .

وبمقارنة هذه القائمة بقائمة الجرائم الجنسية فى أمريكا والتى يعاقب عليها القانون الأمريكى نجد أنها لاتتضمن جريمة المخادنة الموجودة فى القانون الأمريكى ويقصد بالمخادنة اتخاذ خليلة،أى معاشرة رجل لامرأة معاشرة الأزواج دون عقد شرعى . كما نجد فى قائمة الجرائم الجنسية فى أمريكا اللواط والسحاق ، وتزين الرجال بزى النساء والعكس بالعكس ، والتلصص الجنسى ، واتيان العملية الجنسية فى الحيوانات . ويقول الأستاذ صالح مصطفى فى البند ١١٨ فى كتابه الذى اعتمدنا عليه فى تلخيص الجرائم الجنسية والخلقية .

« والمواقعة الجنسية غير المشروعة فى حالات اللواط والسحاق ومواقعة الحيوان ومواقعة المحارم كلها لا عقاب عليها فى مصر ، ومثلها الأفعال الشاذة التى تقع من رجل أو امرأة على نفس أى منها أو على الغير . إذ القانون يسوى بينها وبين الأفعال الجنسية الطبيعية مادام قد حدث أى منها بالرضا وفى غير علانية ما عدا المادة ١٦٠ عقوبات فقد عاقبت بالحبس على انتهاك حرمة القبور أو الموتى ».

الفرق بين الانحراف الجنسى والجريمة الجنسية :

من العرض السابق للجرائم الجنسية والجرائم الخلقية فى مصر ومقارنتها بالجرائم الجنسية فى أمريكا نجد أن بعض القوانين تتسع لتجرم ما يعتبر شاذاً جنسيا ، بينما تضيق بعض القوانين الأخرى كالقانون المصـــرى مع تضمنها ما قد يعتبر شاذاً وما لا يعتبر شاذاً أيضا .

والواقع أن الكثيرون يخلطون بين الجريمة الجنسية والانحراف الجنسى ، ويوجد هذا الخلط حتى فى الكتب العلمية ، فقد يكون الفرد من مرتكبى جرائم الاغتصاب ومع ذلك قد لا يعد شاذاً جنسيا ، وقد يكون الفرد شاذاً جنسياً كالماسوكى الذى لا يجد لذة جنسية إلا إذا ألهب بالسوط ومع ذلك لا يرتكب جريمة من الجرائم الجنسية المنصوص عليها فى القانون .

ويعرف الشذوذ الجنسى عند البعض بأنه ســـلوك جنسى مضطرد يختلف اختلافا بينا عن السلوك السائد فى مجتمع من المجتمعات ويعتبر سلوكا مرضيا . غير أن تداخل المعايير القانونية ، والنفسية ، والاجتماعية أدى إلى الخلط فى التعاريف ، لذلك تعتبر العملية الجنسية التى يقوم بها الفرد شاذة إما طبقا للتعريف الاحصائى أو القانونى ، أو الثقافى ، أو من ناحية عدم القيام بالوظيفة التناسلية البيولوجية أو من ناحية الضرر الجسمانى ، أو الضرر النفسى .

ويرى اليس Ellis أن كل هذه التعاريف فيما عدا التعريفين الاخيرين يبدو فيها عدم الاضطراد الداخلى أو عدم الاتفاق مع المنطق . فالتلصص الجنسى (الرغبة فى رؤية الغير يقومون بالعملية الجنسية أو رؤية الاعضاء الجنسية للغير سرا) والاحتكاك الجنسى بأفراد الجنس الآخر فى الزحام تعتبر من الانحرافات الجنسية ، غير أنها من الناحية الاحصائية تسود بين عدد كبير من أفراد المجتمع . والاغتصاب

واداء العملية الجنسية بالايلاج فى العضو التناسلى ولكن فى أوضاع غير الوضع المعتاد يعتبر شذوذا احصائيا لقلته غير أنه نادرا ما يعتبر شذوذا جنسيا .

كما أن التعريف القانونى والثقافى للانحراف فيه ثغرات تبين عدم الاضطراد وعدم الاتفاق مع المنطق لأنه لا يوجد قانون فى أغلب المجتمعات يعاقب فردا لا يتوصل إلى اللذة الجنسية إلا إذا الهب بالسوط أو طلب من الشريك فى العملية الجنسية اهانته وسبه على الرغم من إجماع كتب الطب النفسى على أن هذا انحراف جنسى ما سوكى . كذلك على الرغم من أن معظم قوانين العالم ومعظم المجتمعات تعاقب البغى وتنتقدها لا يوجد اخصائى نفسى أو اخصائى فى الطب العقلى يعتبرها شاذة لمجرد ممارستها تجارتها .

أما من ناحية تعريف الانحراف من وجهة النظر البيولوجية وعدم اداء وظيفة التناسل فيؤخذ على هذا الرأى رغم تمسك كثير من رجال الدين به أنه طبقا لمعاييره يعتبر كل رجل يجامع زوجته مستخدما موانع الحمل الميكانيكية شاذا جنسيا .

ونظرا لأن التعاريف الاحصائية والقانونية والثقافية والبيولوجية التناسلية تقوم عليها كثير من الاعتراضات يحاول العلماء حاليا وضع محكات مقبوله وأكثر موضوعية لتشخيص الانحراف الجنسى . ويرى اليس أن التعريف الذى يبدو أن الكثيرين بدأوا فى تقبله هو « أن الشخص يعتبر منحرفا جنسيا إذا كان يقوم بانتظام وبدون منطق - يسبق اهتماماته الجنسية - أى أنه يضر نفسه - دون سبب معقول جسمانيا أو نفسيا بالاندماج فتشيا * فى عمليات جنسية معينة ، أو الامتناع

---

* الفتشية : نوع من الانحراف الجنسى يستبدل فيه الموضوع الجنسى السوى بموضوع آخر متعلق به وإن كان غير ملائم للاشباع الجنسى السوى .

مقاوما الفتشية عن القيام بعمليات جنسية معينة ».

ويعلق اليس على هذا التعريف بأنه كغيره من التعاريف توجه اليه الانتقادات من كثير من علماء الجريمة والنفس والطب عقلى ، غير أن الاتجاه يميل إلى زيادة تقبله . وطبقا لهذا التعريف كما يرى اليس يعتبر الفرد شاذا إذا كان فى كل الظروف لا يتمتع إلا بشكل واحد خاص من أشكال النشاط الجنسى ، أو إذا كان جامدا وبشكل حوازى على نمط واحد من انماط السلوك الجنسى ، أو إذا كان مرتبطا برباط جامد ويخوف إلى شكل واحد أو شكلين من أشكال المشاركة الجنسية ، أو إذا كان يصر وبشكل غير منتظم وضد نفسه فى الاستمرار فى عمليات جنسية تحطم كيانه .

والمنحرف جنسيا بالتالى إما أنه يقوم بكف نفسه بشكل غير مناسب ويقتصر تفزعه فى نشاطه الجنسى على طرق محدودة ، أو أنه لا يقيد نفسه محطما ذاته فيندمج فى سلوك يؤدى به إلى عقوبات قانونية أو شخصية وخيمة . ومعظم المنحرفين جنسيا لا يجذبهم إلا نوع معين أو يعزفون عن نوع معين من المثيرات الجنسية (فالسادى لا ينجذب عادة إلا لمن سوف يخضع له ، ولن ينجذب أصحاب المثلية الجنسية مع الصبية إلا إلى الصبية) . ويعزف اصحاب الجنسية المثلية عن مجرد التفكير فى اتيان العملية الجنسية مع امرأة . ويلاحظ أن معظم المنحرفين جنسيا من النوع المنجذب والنوع العازف يستمرون فى ممارسة شذوذهم دون الاحتكاك بالقانون .

ويحاول اليس التمييز بين الشذوذ الجنسى وبين ما يسمى بالممارسة الجنسية « غير الطبيعية » والتى يقصد بها غالبا ممارسة العملية الجنسية بين ذكر وانثى من البالغين وبموافقة كل منهما فى فتحات غير الفرج ، فيقول « أنه على الرغم من أن

أى فرد لا يتمتع باللذة الجنسية إلا إذا كانت فمية أو شرجية ويعزف تبعا لذلك عن اتيان العملية الجنسية فى الفرج حين تسمح الظروف بها يعتبر شاذا جنسيا ، غير أنه لا يمكن بأى حال من الأحوال أن نقول أن أى فرد يتمتع باداء العملية الجنسية فى غير الفرج متعة تعادل متعه بأدائها فى الفرج منحرفا أيضا . بل الواقع من وجهة النظر النفسية ، يحق القول بأن بعض الأفراد الذين يقومون بالعملية الجنسية بالطريقة المألوفة وحدها والذين لن يحاولوا تحت أى ظرف أداء العملية مع المرأة بغير هذا الشكل مصابون بالخوف والجمود ، ويعتبرون بطريقة مخففة شواذا أيضا » .

ونحن لانجرد اليس فى هذا القول مع تحفظاته كاشتراط موافقة الشخصين (الذكر والانثى) بأن يكونا بالغين ، ووجود الظروف الخاصة ، والتمتع باتيان العملية فى الفرج ... الخ . من تأثره بثقافته الغربية ومن الحالات الاكلينيكية التى عرضت عليه ، إذ أدى انتشار الممارسات الجنسية غير العادية بين الذكور والاناث فى المجتمع الغربى ، ورغبة الممارسين لها من التخفيف من حدة الصراع والشعور بالذنب المصاحب لهذه الممارسات إلى محاولة كثير من علماء النفس والمتخصصين فى الأمور الجنسية إلى التخفيف من حدة الصراع والشعور بالذنب بتبريرها على أنها عادية ما دامت تتساوى لذتها عند ممارستها بلذة العملية الجنسية بالطريق المعتاد . هذا بالاضافة إلى أن الصدفة التى تجمع بين رجل وامرأة يتقبل كل منها مثل هذه الممارسات دون مجاملة للشريك الآخر ، ودون ألم نفسى لأحدهما احتمالاتها قليلة خاصة فى المجتمعات التى يلعب فيها الدين دورا كبيرا . وإن كان كنزى كما سبق أن بينا فى حديثنا عن الانحرافات الفمية لم يذهب إلى هذا الحد من التطرف واعتبر الملامسة الفمية

نمط عادية إذا كانت من اللعب الجنسى السابق لاتيان العملية بالطريق العادى .

والخلاصة أنه ليس من الضرورى أن يكون مرتكبوا الجرائم الجنسية من المنحرفين جنسيا أو المضطربين نفسيا . فجريمة الزنا على سبيل المثال ليس من الضرورى أن يكون الزوج الخائن فيها أو الزوجة الخائنة من أولئك الذين يعانون من الشذوذ أو الاضطراب النفسى . كذلك ممارسة العملية الجنسية مع فتاة دون السن القانونى ، ليس من الضرورى أن يكون الجانى فيها من أولئك أيضا اللهم إلا إذا كانت هواية تمارس مع مثل هذا النوع من الفتيات رغم ما فيها من خطورة .

ويفرق العلماء بين المجرم المنحرف جنسيا ، والمجرم المنحرف نفسيا ، فيرى البعض أن المجرم المنحرف جنسيا فرد يقترف الجريمة الجنسية لأنه مدفوع بخوف أو قهريا لارتكاب هذا السلوك المحرم فى بيئته . والخوف أو العدوان الذى يدفعه لارتكاب جريمته خوف جنسى أو متعلق بالسلوك الجنسى . فمقترف جريمة الجنسية المثلية الذى يعتدى على صغار الصبيان قد يكون لديه خوف من الفشل إذا ما أتى العملية الجنسية مع امرأة ، أو قد يكون لديه عداء شديد نحو النساء وبالتالى لايفضل إلا الجنسية المثلية .

أما المنحرف نفسياً فهو شخص يقترف أى جريمة جنسية أو غير جنسية لأنه مدفوع بخوف أو بثورة لتحدى القواعد العامة . لذلك قد يكون المنحرف نفسيا شخصا يخشى أن يوصف بالضعف أو بأنه ليس رجلا ، أو قد يكون لديه عداء نحو الناس فيلجأ إلى السرقة أو الجرائم الجنسية كالاغتصاب وما اليها .

لهذا قد يكون مرتكب الجريمة الجنسية إما منحرفا جنسيا أو منحرفا نفسيا والمنحرف نفسيا يرتكب فى العادة جرائم أخرى مع جرائمه الجنسية .

ويقسم إليس مقترفى الجرائم الجنسية إلى الفئات الآتية :

١ ـ فئة من مرتكبى الجرائم الجنسية أسوياء وليسوا بمنحرفين نفسيا أو جنسيا

كمقترف جريمة المخادنة أى اتخاذ خليلة فى أمريكا (ليست بجريمة فى مصر) أو مقترف جريمة الزنا .

٢ - فئة منحرفة جنسيا غير أنها ليست منحرفة نفسيا (كالمتلصص على العمليات الجنسية) فقد يكون من الخجولين جنسيا غير أنه قد لا يكون مضطربا نفسيا .

٣ - فئة منحرفة جنسيا ونفسيا مثل المرضى بالاستعراض الجنسى فهم إلى جانب وجود المشكلة الجنسية، فى سلوكهم اعتداء على جمهور المشاهدين .

٤ - فئة ليست منحرفة جنسيا ولكنها منحرفة نفسيا (مثل المريض بالدهان الذى يمارس العادة السرية علنا أو يمشى عاريا فى الطرقات لا لأن لديه مشكلة جنسية ولكن لاضطرابه العقلى .

علاج مرتكبى الجرائم الجنسية والمنحرفين جنسيا :

لاتعتبر المخادنة فى مصر جريمة وهى بالتالى لاتعتبر من الانحرافات الجنسية إذا كانت بديلا للزواج يضطر اليها بعض الناس . ولاتعتبر جريمة الزنا انحرافا جنسيا أيضا اللهم إلا إذا كانت نمطا متكررا مع عديد من الأفراد لا مع فرد واحد

والقانون المصرى يعتبر تقدميا فى عدم تجريم المخادنة ، واللواط ، والسحاق ، مادامت هذه الممارسة تتم بين شخصين بالغين باتفاق وبغير علانية ، والاتجاه السائد بين علماء النفس المعاصرين يتفق وهذا الاتجاه ، وذلك لأنه ثبت أن هذا النوع من الانحراف الجنسى من الانحرافات المستعصية على العلاج ، مع وجود بعض الحالات التى يدعى معالجوها نجاحهم فى العلاج معهم ، واستعصاء حالات الجنسية المثلية على العلاج أدى بالبعض الى اعتبار المنحرفين من هذا النوع من السيكوباثيين ويفيد العلاج النفسى معهم فقط فى ازالة الأعراض العصابية المصاحبة .